التنشئة الاجتماعية في الأســـرة العربيـــة فـــي ظـــل تضارب أدوار المـــرأة العاملة.

د. فوزي صالح الشريف ـ كلية التربية يفرن ـ قسم الخدمة الاجتماعية ـ جامعة الزنتان
د. إلهـــام عمران العـــزابي ـ.كلية الآداب ـ قسم دراسات سياحية ـ جامعة طرابلس

المـقدمـة:

الأســـرة (Family) أهـــم الجماعات الإنسانية ، وأعظمها تأثيراً فـــي حياة الأفراد والجماعات ، فهي الوحدة البنيوية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية التي تقوم بدعـــم وبناء صرح المجتمع وتمدّه بأسباب البقاء والنماء ، وبقدر ما تكون الأسرة سليمة يكون المجتمع قوياً وسليماً، وهي تعد الخلية الأولى والبيئة الطبيعية التي ينتمي ويعيش فيها الفرد ، ويمـــر من خلالها بمراحل عمرية مختلفة تبدأ من مرحلة الطفولة ، ثم مرحلة المراهقة ، ثم ســـن الرشد ، ثم مرحلة الشيخوخة ، ويكتسب من خلالها القدرة على تكوين شخصيته الإنسانية بوصفها أول وأصغر منظمة اجتماعية في حياته ، ووسيلة طبيعية لإشباع جميع حاجياته المعنوية، والمادية، بالإضافة إلى كونها مسرحاً للتفاعل الاجتماعي من خـــلال العلاقات الاجتماعية الأولى التي تنســـج بداخلها ســـواء مع الوادين ، أو المحيط ككل ، و" تتكون الأسرة من الزوجين والأطفال ، أي : من جيلين يشتركان معا في معيشة واحدة" (1)

والأســـرة هـــي الوحدة الاجتماعية التي تنتقل بواسطتها التقاليد الحضارية للمجتمع من جيل إلى جيل خـــلال عملية التنشئة الاجتماعية ، فلها أكبر الأثـــر على نمو شخصية أبنائها وصفاتهم الاجتماعية ، وهي الوسط التي تُبعث فيه مقدرة الفرد على النضال في الحياة بما ترثه في أبنائها من خصائص بيولوجية ونفسية ، وتعدّهم للحياة الاجتماعية عن طريق تزويدهم باللغة واحترام العادات والعلاقات بين أفرادها وتسهم إلى حدٍ بعيد في تكوين شخصية الفرد وقابليته على الاتصال بالآخرين، كما تزوده بمبادئ تنظيم المحيط والحياة بحيث يصبح فيما بعد كائناً اجتماعياً ذا شأنٍ في المجتمع الذي يعيش فيه.

ومن هنا يتحدد الدور الحيوي للأسرة ، لما لها من قدرة للتأثير في البناء الاجتماعي من خلال وظائفها التي تنجزها للمجتمع ، ويتضح حجم وطبيعة الآثار

المترتبة على الخلل الذي يصيب بناء الأسرة ووظائفها انطلاقاً من فكرة التكامل بين النظم الاجتماعية، ومن أهم مصادر هذا الخلل التفكك الأسري، وضعف أداء الأســرة لوظائفها الأساسية لاسيما وظيفة التنشئة الاجتماعية الأسرية ، حيث تشكل المرأة طرفاً واضحاً فيها ؛ لاسيما بعد أن خرجت إلى مجال العمل، وتضاربت أدوارها داخل الأسرة وخارجها.

المحـــور الأول ــ مدخـــل تمهـيدي :

1. تحديد مشكلة الدراســة (Problem of the study) :

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في محاولة استشراف تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي ، خاصةً بعد أن سارت وظائف الأسرة الإنسانية على نفس الطريق الذي سار عليه تطـوّر نطاق الأسرة عبر تاريخها الطويل **(2)** من أســرة ممتدة تضم ثلاثة أجيال متلاحقة أبناء ، وآباء، وأجداد تجمعهم روابط اجتماعية قوية إلى أسـرة نــواة تتكون من أب وأم، وأولاد ، فضعفت العلاقات الاجتماعية ، وتقلصت وظائف الأسرة واحدة تلو الأخرى، وأصبح دور الأسرة في بعض الوظائف يقتصر على التوجيه والإشراف ، ويزداد الأمر سوءاً إذا ما علمنا أنَّ معظم حكومات الدول العربية ليس بوسعها الوفــاء بالحاجات الأساسية لمواطنيها ، الأمر الذي يجعل الأسرة مستعدة لتلقي ما يتمخض عن خــروج المرأة لمجال العمل وتضارب أدوارها لاسيما في ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية للأبناء.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في محاولة استشــراف تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على عملية التنشئة الاجتماعية بوصفها أهم وظائف الأســرة العربية وغير العربية - أيضاً- .

2-أهمية الدراســـة Significance of the study:

وتتجسد أهمية هذه الدراسة بإيجاز فيما يلـــي :

1. يمكن أن تسهم الدراسة في إثراء الخلفية العلمية والمعرفية في مجال علم الاجتماع العام وفروعه التخصصية المختلفة لاسيما علم الاجتماع العائلي ، ما يشكل قيمة معرفية مضافة للتراكــم المعرفي في هذا المجال.

2. تنبع أهمية الدراسة من أهمية الأســرة بوصفها مهد الطفل و مظلته الاجتماعية ، فلكل فرد أسرة ؛ والفرد بلا أسرةٍ لامعنى له ، ولا حياة اجتماعية طبيعية له.

3. تفسح المجال أمام المخططين ومتخذي القرار لدراسة واقتراح توصيات ونتائج تفيد العاملين، والمخططين، والمختصين في هــذا الحقل ، لمواجهة الجوانب والتأثيرات السلبية الناتجة عن المشكلة موضوع الدراســة .

3-أهــداف الدراسة Aims of the study :

1. الوقوف على مكامن خطورة تضارب أدوار المرأة العاملة على وظيفة التنشئة الاجتماعية الأسرية. ويتفرع عن هذا الهدف المحوري مجموعة من الأهداف الفرعية، وهي كالتالي:

أ ـ التعرف على مدى تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على الرضاعة الطبيعية للطفل ، وإتباع الرضاعة الصناعية.

ب ـ التعرف على مدى النجاح والإخفاق الذي تعيشه المرأة العاملة بين النجاح في عملها خارج المنزل وأدوارها داخل الأسرة لاسيما وظيفة التنشئة الاجتماعية .

ج ـ التعرف تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على وظيفة التنشئة الاجتماعية للأبناء من حيث الرعاية والمتابعة والتربية،والحلول المتبعة والمرتبطة بالتنشئة الاجتماعية أثناء فترة الغياب عن المنزل .

4- تســـاؤلات الدراسة Research Questions:

1. ما مكامن خطورة تضارب أدوار المرأة العاملة على وظيفة التنشئة الاجتماعية الأســرية ؟

2.ما مدى تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على الرضاعة الطبيعية للطفل ، وإتباع الرضاعة الصناعية ؟.

3.ما مدى النجاح والإخفاق الذي تعيشه المرأة العاملة بين النجاح في عملها خارج المنزل وأدوارها داخل الأسرة لاسيما وظيفة التنشئة الاجتماعية ؟.

4.ما تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على وظيفة التنشئة الاجتماعية للأبناء من حيث الرعاية والمتابعة والتربية،والحلول المتبعة والمرتبطة بالتنشئة الاجتماعية أثناء فترة الغياب عن المنزل ؟ .

4-منهـــج الدراسة :

تعدّ هذه الدراسة من البحوث المكتبية التي تعتمد على رصد الأدبيات العلمية المتعلقة بموضوع البحث أو مشكلته؛ لذلك تم اعتماد المنهج الوصفي بالاعتماد على الكتب والأدبيات المتوفرة حول الأسرة وخروج المرأة لمجال العمل

5-مصطلحات الدراسة Concepts and terms:

1- المـــرأة العاملة : المـرأة التي تقوم بالعمل خارج البيت نظير أجر، ومعظم النساء العاملات في الحضر يدخلن تحت هذا المصطلح ، أما المرأة الريفية التي تشارك زوجها و أسرتها في النشاط الزراعي ، أو الإنتاجي بهدف الحصول على لقمة العيش ؛ فلا تعد امرأة عاملة بهذا المعنى الاصطلاحي حيث إنها لا تتقاضى أجراً**(3)**

2- **الأســـــرة (Family)** : عرف وليام قاريت (**William Karit**) الأســرة بأنها : " منظمة بنيوية قرابيـــة ، وتوجد على عدة أشكال ، لكنها في العادة تتألف من شخصين بالغين : ذكر وأنثى وأطفالهما يعيشون مع بعضهم في علاقة دائمة تقريباً ، ويقرها المجتمع مثل الزواج ، وأقل وظائفها تتمثل في الإنجاب، والحب والعطف الذي يشمل العلاقة الجنسية ، وتعيين المراكز والأوضاع ، وتنشئة الأطفال اجتماعياً" (4) ، وأما (جورج ميردك J.Mereduck) ، وهو أحد العلماء الذين طوروا التعريف الوظيفي للأسرة فعرفها بأنها : " عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ، ووظيفة ثكاترية ، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع " (5)، وبذلك نـــرى أن (جورج ميردك) تناول مفهوم الأســـرة بناءً على الوظائف التي تؤديها مثل الوظيفة البيولوجية باعتبار أنها أنسب مكان للتناسل وحفظ النوع البشري من الاندثار، والوظيفة الاقتصادية المتمثلة في مسؤولية الأســرة في إشباع الحاجيات المعيشية لأعضائها من مأكل و مشرب وملبس ومسكن ، بينما يعرف (الجـــوهري **Aljwhary**) الأســـرة بأنها "جماعة اجتماعية لا يمكن تجزئتها وتقسيمها إلى جماعات أخـــرى ، وتستند الأسرة في وجودها على عدد من العناصر الأساسية كالعنصر البيولوجي ، والنفسي ، والثقافي". (6) ، فـالجوهر يـــرى أنّ الأسرة جماعة اجتماعية تتكون من عدد من الأفراد تربطهم روابط متينة ، و تقوم بعدد من الوظائف التي تساعد على استمرارها وبقائها ، ويـــرى(محمود حسن **Mahmood Hasan**) الأســـرة بأنها : " صورة التجمع الإنساني الأولى، وهي جماعة أولية بمعنى أنها أساس الإنجاب ، والتطبيع الاجتماعي للجيل التالي، وهي كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس

التي ترتبط بإشباع الحاجيات المرتبطة بالحب والأمـــن والمركز الاجتماعي (7) ، وفي معجم العلوم الاجتماعية : الأسرة خلية المجتمع الأولى من الناس ، وتقوم على الزواج ، أو قرابة الدم،ويعيش أفرادها حياة مشتركة تربط بينهم عرى المسؤولية الاجتماعية والتعاون (8)، وفي معجم علم الاجتماع المعاصر : الأسرة شخص واحد، أو جماعة يشترك أعضاؤها بالعيش والسكن معًا. (9)

وأما التعريف الإجرائـــي : فيـرى الباحثان بأنها : " مجموعة من الأشخاص تربطهم روابط اجتماعية متينة قوامها الحب ، والاحترام المتبادل ، ويمثلها الأساس التشريعي ، والقانوني ونخص هنا الأسرة الممتدة ، والأسرة النووية التي تنتمي إليها المرأة العاملة.

- **التنشئة الاجتماعية : (Socialization) :** عادة يستخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية عند علماء النفس الاجتماعي، وعلماء الاجتماع والمتخصصين في دراسة نمو الأطفال، فالأطفال تتضح قدراتهم وتنمو من خلال التفاعل الاجتماعي **Social Interaction** الذي يتيح لهم فرصة اكتساب السلوك الاجتماعي **Social Behaviour** ولهذا فالتنشئة الاجتماعية في واقعها عملية تعلم. وتعرّف التنشئة الاجتماعية (بأنَّها العملية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجاً في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها. ويقصد بها أيضاً العملية التي تحدث في مرحلة الطفولة وتؤدي إلى نمو شخصية الفرد واندماجه في مجتمعه) **(10)** ، ويقصد بمفهوم التنشئة الاجتماعية أيضاً عملية تعلم عن طريقها يكتسب الفرد العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات السائدة في بيئته التي يعيش فيها، وتتم من خلال الأساليب التي تراها الأسرة مناسبة لها وتتفق مع الثقافة الفرعية التي تنتمي إليها. كذلك يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية على أنَّها عملية تتضمن التفاعل والتغير، فالفرد في تفاعله مع أفراد جماعته يأخذ ويعطي فيما يتعلق بالمعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية، والشخصية الناتجة في المحصلة هي نتيجة لهذا التفاعل. والتنشئة الاجتماعية لا تقتصر فقط على مرحلة الطفولة ولكنها تستمر إلى الشيخوخة (11)

- المحور الثاني ـ الإطار النظـــري :

1- تضارب أدوار المرأة العاملة بين الأسرة والمجتمع :

ويمكن تناول أدوار المرأة العاملة بين الأسرة والمجتمع وفق كل دور كالأتي:

1- دور المـــرأة العاملة كزوجـــة : يعتبر دور المرأة باعتبارها زوجاً أول محطة اجتماعية في حياتها الأسرية الجديدة والمستقلة باعتبارها دخلت في أتفاق تعاقدي مع

زوجها بشكل يحلله الدين ، و يكفله القانون كونه قائماً على المودة والرحمة والسكينة ، تدخل المرأة الحياة الزوجية وفق إرادتها الحرة وتتحمل ما يترتب على ذلك من حقوقٍ وواجبات لكلا الطرفين ولأهمية دور المرأة باعتبارها زوجاً أبرز الإسلام دورها شريكاً للرجل في حياته فجعلها موضع احترام الرجل و تكريمه ، وجعل بينهما رباطاً متيناً من المودة والرحمة(12)، وفي ذلك يقول **الله – تعالى - : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوْ إِلَيْهاَ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات لِّقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ) [الروم. الأية 21]** (13)، ويعتبر دور المرأة باعتبارها زوجاً أحد أهم دعائم الأسرة الأساسية لما لها من دور كبير في العديد من وظائفها الحيوية ، والتي تتجلى بشكل واضح لاسيما في تنظيم العلاقات الزوجية مع زوجها ولعلّه الدور الأبرز في تلك المرحلة المهمة بعد الزواج . فالحياة الزوجية تقوم على الاحترام المتبادل و التوفيق في تأدية الأدوار الزوجية من ناحية الإشباعات الجنسية ، والعاطفية ،وعلاقات الصداقة ،والديمقراطية ، والمشاركة في السلطة و تقسيم العمل (14)

بحيث إن دور المرأة الزوج لا يمكن له أن يكتمل ما لم يقابله انسجام و تفاهم متبادل مع زوجها وصولاً إلى تحقيق السعادة الزوجية ، و هذا الانسجام و التفاهم بين الزوجين ينبثق من إدراكهما لمجموعة من حقوق وواجبات كل منهما اتجاه الأخر ، فدور المرأة باعتبارها زوجاً يتطلب منها احترام الرابطة الزوجية التي تجمع بينهما فلا تمنعه نفسها كون هذه الرابطة هي مصدر راحته ، وإشباع غريزته الجنسية ، و دعم ثقته بنفسه ، ولا يجوز لها مطلقاً أن تخونه أو أن تهجر فراشه ، ويجب أن تعامله بصدق و صراحة وأن تعتمد ذلك في كل ما يتعلق بأمور حياتهما مداً لجسور الثقة ، والتفاهم والإحساس بالمسؤولية (15)

2- دور المرأة العاملة كأم : يعد دور المرأة كأم أهم وأسمى دور تقوم به بعد الزواج والإنجاب ، و لأهمية دور المرأة أماً فقد كرمها أللهI أعظم تكريم ، و منحها أسمى منزلة ، وجعل منزلة الوالدين تالية لعبادته،عّز وجل قالI: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدوا أَلاّ إِيَّاهُ وَ بِالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحدهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُما أفٍ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيْماً) الإسراء . أيه 23** .(16) كما أوصى بمزيد من العناية والرعاية لهما حيث قالI: **(وَوَصّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُهُ وَهْناً عَلىَ وهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَن اشْكُر لِي وَلوالِدَيْك إليَ المَصِيْرُ) لقمان أيه14**(17) ومن خلال الآية الكريمة يتبين مدى التفضيل الذي خصّ به الله I الأمّ فحرص على أن يذكّر

الإنسان بالعناء والألم الذي تحملته أمه في حمله ووضعه فصاله (18) والأم هي المسؤولة الأولى عن تربية طفلها وخصوصاً في سنوات عمره الأولى من حيث ارضاعه ، وتعليمه المشي والكلام ، وارتداء ملابسه ، والعناية بنظافته الصحية من ناحية الاستحمام و الاستخراج لذلك تحدث الكثيرون عن التأثيرات المبكرة للأم على نمو شخصية الطفل،وأكدوا على حيوية دور الأم في عملية تنشئته الاجتماعية (19)في مراحله العمرية المختلفة إلى أن يبلغ سن الرشد و يتزوج و تتحول مسؤوليات العناية به من أمه إلى زوجته .

3- دور المرأة العاملة ربة بيت : و يعد دور ربة البيت من أهم و أصعب الأدوار التي تقوم بها المرأة في الوقت الحاضر ، خاصةً إذا كان لها دور أو عدة أدوار خارجاً،حيث إن مسؤولياتها وواجباتها داخل المنزل تتمثل في قيامها بمختلف الأدوار التي تخص زوجها وأطفالها، وشؤون منزلها مجتمعةً ، ومن الممكن أن يتبين هذا من خلال عدد ساعات العمل التي تقضيها ربة البيت داخل مملكتها الأسرية التي تتراوح ما بين (12- 14 ساعة) يومياً ، هذا في المناطق الحضرية ، فما بالك عنها في المناطق الريفية ، لذلك تجد كل فرد داخل أسرتها يقدرها فوق قدرها و يتأثر بتصرفها وحالتها الصحية و المعنوية (20)

4- دور المرأة العاملة داخل المجتمع : تزايدت في الآونة الأخيرة نسبة النساء العاملات تماشياً مع متطلبات العصر الحديث، حيث إنَّ العمل أصبح من أوليات الأمور التي تفكر بها المرأة بغرض تحقيق كثير من مطالب الحياة المستجدة، في حين أنَّ هذا الأمر لمْ يكنْ منتشراً من قبل بصورة كبيرة، إذ كان عمل المرأة الأوّل هو رعايتها لأولادها وشؤون بيتها، هذه الوظيفة الفطرية، وأمَّا عملها خارج البيت فلمْ يكن إلاَّ لضرورة قصوى تلبية لاحتياجات الأسرة المتزايدة أو في ظل غياب المعيل. أمَّا في ظل العولمة فلمْ يعد العمل مجرد مسألة عول؛ بلْ أصبح من أولويات حياة المرأة، لاسيما بعد التخرج من الجامعة، ولأنَّ هدف الخروج للعمل والغاية منه تغيرت بتغير الزمن، فإنَّ النساء العاملات أصبحن لا يستغنين عنه أبداً، لأنَّه وسيلة لتحقيق الذات، وكسب المال، وتوسيع نطاق العلاقات الاجتماعية، هذه الأخيرة التي قد تؤثر في بعض الأحايين على علاقة المرأة مع زوجها، خاصة إذا انفتحت المرأة العاملة في علاقاتها مع الرجال من زملائها في أماكن العمل المغلقة، وما ينتج عنه من الاختلاط والخلوة. حيث تدور حول عمل المرأة خارج البيت كثيرٌ من المغالطات والخلل في الكيفية التي يسير عليها؛ الأمر الذي يعود بالأثر السيئ على استقرار بيت الزوجية، سواء في العلاقة العاطفية بين الزوجين

أم من ناحية اهتمام الأم العاملة بأولادها والعناية بهم، وقد تزداد المشكلة تعقيداً لتصل حد الطلاق وانحلال مؤسسة الأسرة، فيضيع الأولاد بين سؤال لا يجد له القضاء حلاً عملياً: من الحاضن؟ ويبحث الزوج عن امرأة أخرى تعطيه الاستقرار المفقود (21)

2- تأثير تضارب أدوار المرأة العاملة على وظيفة التنشئة الاجتماعية :

تعد الوظيفة الاجتماعية أحد أهم و أبرز وظائف الأسرة الأساسية التي يتركز فيها الجهد نحو تنشئة أبنائها تنشئة اجتماعية سوية لما لهذا الدور من أثر عميق لا يضاهيها فيه أي هيئة أو مؤسسة اجتماعية أخرى ، خاصةً في المراحل الأولى لنشأة الطفل و هي مرحلة الحضانة قبل أن تشاركها في تنشئته العديد من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كرياض الأطفال ،أو المدرسة في مراحل لاحقة .

وتتضح أهمية و دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية من خلال النمو الاجتماعي السليم للطفل في نطاقها ، و تنمية قدراته ، و تكوين شخصيته ، و تهديب سلوكه ، وتوجيهه ، ودفعه للمشاركة في المواقف و الخبرات الاجتماعية المختلفة بقصد تعليمه السلوك الاجتماعي السليم المنطلق من العادات الحسنة ، و الأخلاق الفاضلة ، حيث يشترك الوالدان في التأثير على الطفل لمحاولة تكييفه مع ثقافة المجتمع ، باعتبار أن عملية التنشئة عملية تبادلية بين الأسرة و بين مكونات البناء الاجتماعي قوامها التفاعل المشترك و المتبادل (22)

فادا كانت التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة صحية و فاعلة فإن المجتمع و نظمه سيكونان كذلك ، أما إذا كانت التنشئة الاجتماعية مريضة ومفككه و منهارة فستكون حياة الأسرة والمجتمع في خطر كبير، و بما أن الأسرة تمثل رابطة زوجيه تأتلف من زوجين وأولاد ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعتمد في المقام الأول على دور الأم المرتبط بطفلها داخل الأسرة باعتبارها تحتل مكانة خاصة في حياته منذ بداية ارتباطه بها ، و تكوينه جنيناً في رحمها ، ومصدر غدائه الأساسي و تطور نموه قبل أن يولد ، وبذلك تكون والدته أول وسيط بينه و بين العالم الخارجي لتهيئهُ و تلقنهُ دروسَ الحياة ، و تكون مركزه الأساسي لإشباع حاجاته الجسمية ، والعضوية ، والبيولوجية ، والنفسية .

لذلك يرى العديد من الباحثين أن تعلق الطفل بأمه من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية التي تتأثر بعاملين هامين هما :

1- شدة التفاعل بين الطفل و أمه : ويتجسد من خلاله التفاعل الصوتي الذي يكون أساساً لاكتساب الطفل مختلف المهارات وفي مقدمتها النطق، وتعلم اللغة،ثم التفاعل

البصري الذي يزداد من خلاله شدة التفاعل بين الطفل و أمه بعد أن يسمع صوتها ويرى ابتسامتها لذلك يأتي التفاعل البصري في المرتبة الثانية من حيث الأهمية ، ثم التفاعل اللمسي والشمي اللذين يكتسبهما الطفل من خلال الرضاعة الطبيعية حينما يتلمس صدر أمه بيديه وهو يمارس عملية الرضاعة ، وتضمه أمه إلى صدرها بكل رفق و حنان،ليشمّ الطفل رائحتها و يميزها ؛ فيشعره ذلك بالهدوء و يخلصه من العديد من التوترات والانفعالات، أما الحركات الجسدية، فهي محصلة كل ما ينتج من تفاعلات يعبر عنها الطفل فطرياً في بادئ الأمر من خلال تعبيرات الوجه في حالات مختلفةٍ كالإجهاش بالبكاء حين يشعر بالجوع ، قبل أن يبدأ رد فعل الطفل في التمييز و استثارة أمه و بقية أفراد أسرته .

2- سرعة استجابة الأم لمطالب الطفل : تتضح في صور عدة كسرعة استجابتها لطفلها حين يبكي مثلاً أثناء قيامها بواجباتها المنزلية ؛ فتترك ما تقوم به جانباً و تأتي بسرعة و بلهفة لتقوم بإرضاعه ومداعبته ليتفاعل هو،و يكف عن البكاء،ويستجيب لمناغاة أمه له،ومبادلتها الابتسامة الشخص (23)

وبهذا فإن دور الأم في التنشئة الاجتماعية دور لا يستهان به ،لأنها هي التي تغذيه وتنظفه وتمنحه وتمنعه، وتصادقه و تخاصمه، وتجادله وتستمع إليه ، وتحكي له القصص المسلية وتعلمه وتوجهه وتأخذ بيده،و تسهر بجانبه في المرض و الشدة ، فهي الدنيا و نعيمها بالنسبة إليه (24)

وهذا الدور أكثر ما ينطبق في الأسرة التقليديّة (الممتدة) حيث تحدد أدوار المرأة ضمن محيط أسرتها ، وتكون قريبة دائماً من أطفالها ، فالمرأة في ظل هذه الأسرة لم تحصل على المكانة التي تتيح لها العمل خارج المنزل ، فأدوارها محدودة زوجاً وأماً وربة بيت فقط وعلى الرغم من أن عمليات التنشئة الاجتماعية في ظل الأسرة التقليدية متكاملة بين جميع أعضاء الأسرة و الأقارب ، لكنها تمثل الدور الأوسع والأشمل الذي تضطلع به المرأة وذلك لتفرغها لرعاية الأبناء بشكل شبه كامل .

وبعد التحولات العديدة التي مر بها المجتمع تحولت الأسرة من أسرة تقليدية إلى أسرة نووية صغيرة تتميز بالاتي :

أ- بأنها تتشابه في كل مكان تقريباً .

ب- يسودها الجو الديمقراطي و المساواة في المكانة بين الزوجين .

ت- تقوم الأسرة النووية بتنظيم حياتها بصورة اختيارية وفق رغبات الزوجين .

ث- عدم تدخل الأقارب في عملية التنشئة الاجتماعية التي يتولاها الزوجان (25)

بحيث لم تبقَ وظيفة التنشئة الاجتماعية مختصة بالأسرة فقط ، و إنما أصبحت عملية مشتركه مع العديد من الهيئات و المؤسسات الاجتماعية ، و أصبحت أدوار المرأة موزعة بين أعمالها المنزلية ، و أعمالها خارج المنزل و تعرض دورها في عملية التنشئة الاجتماعية إلى العديد من المشكلات ، حيث تضطر إلى الابتعاد عن الأطفال لفترات قد تطول ، وقد تقصر حسب طبيعة عملها خارج المنزل ، إضافة إلى ضعف المؤسسات المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية إذا ما قورن ذلك بدور الأسرة .

إن تعدد أدوار المرأة في ظل الأسرة النواة أدى إلى تضارب ممارسة أدوارها في المجتمع،وهذا التضارب انتهى بها إلى التقصير في أداء بعض أدوارها الاجتماعية ،لاسيما دورها في تنشئة الأبناء على أثر اشتغالها بالوظيفة أو العمل خارج المنزل لساعات طويلة أثناء النهار، وإنجازها لأدوارها التقليدية، أماً تقوم بتربية أطفالها، ورعاية زوجها ، و إدارة شؤون المنزل الأخرى ، الأمر الذي انتهى إلى الشعور بالتقصير و الذنب اتجاه كل هذه الواجبات.

لقد ذكرنا أن خروج المرأة من المنزل إلى العمل يسبب مشكلات عديدة لها ولزوجها ، وأطفالها ، فإذا أخذنا ظاهرة التنشئة الاجتماعية ؛ فإننا سنرى أنّ ابتعاد الأم عن أبنائها أدى إلى تركهم مع أهلها ، أو مع أهل زوجها ، أو مع أبناء الجيران ، أو مع الخادمة ، وقد يودي هذا إلى الانحرافات ، والمشكلات السلوكية مع توفّر العناية بهم عن طريق غير الأم و هذا الأمر متوقع لمثل هؤلاء الأبناء(26)

وهناك احتمال أخر هو أن تماثل أبنائها معها يكون أقل إذا ما قورن هذا التماثل مع تماثل الأطفال مع الأم غير الموظفة ، و في هذا المقام أكدت العديد من الدراسات على هذه الحقيقة ، وبذات الصدد دعا عدد من العلماء الأم التي لديها أعمال أو أدوار خارج المنزل إلى أن تترك عملها وتتفرغ لرعاية طفلها في سنواته الأولى،والثانية واضعين مجموعة من الحلول ومن هؤلاء العلماء أجاتا بولي **Agatha Bowley** التي أشارت إلى أن تفرغ الأم لإرضاع طفلها و العناية به شخصياً من الأمور الجوهرية التي تلعب دوراً هاماً في صحة الطفل النفسية وشعوره بالود ، والمودة ، والعطف الناتج عن الاهتمام به ، وترى أن ترك الطفل فترة محدودة كل يوم و في وقت منتظم و طويل مع الجيران تارةً و مع الأقارب تارةً أخرى ، أو في بعض المراكز المتخصصة لرعاية الأطفال تارة ثالثة لا يضمن تلقي الطفل العناية الكافية و المشبعة لجميع رغباته الجسمية،

والعاطفية التي كان من الممكن أن يتلقاها فيما لو تفرغت له والدته ، وقد عززت "أجاتا بولي" كلامها من واقع خبرتها الشخصية في مجال عملها حيث لاحظت أن الأطفال ذوي المشاكل النفسية هم الذين عانوا من الحرمان في طفولتهم المبكرة **(27)**

وأشار كريدينر **k.ardener** في إحدى دراساته إلى أن الطفل قد يتعرض لفطام فزيولوجي يتجلى في انقطاع عملية الرضاع المفاجيء و المبكر و معاناة لفطام نفسي عميق ينعدم معه الشعور بالاطمئنان لغياب الأم طوال النهار في العمل (28)

فيترتب على ذلك خلل في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل الناتجة عن الاضطرابات النفسية التي تجعل الطفل في حالة قلق و انزعاج ، لفقدانه العامل الرئيسي لأمنه وراحته ما يترتب عليه عدة تأثيرات سلبية يكون لها بالغ الأثر في المراحل اللاحقة لنشأته .

كذلك يمكن الإشارة إلى الدراسة التي قامت بها "بتينة قنديل"على عدد من التلاميذ و التلميذات من أبناء المشتغلات،وغير المشتغلات ووفق مجموعة من المتغيرات ، فوجدت أن مستوى التوافق المتمثل في التكيف الشخصي،والاجتماعي،والعام يقل لدى أبناء المشتغلات اللاتي يتغيبن عن بيوتهنّ مدة تزيد عن ثماني ساعات يومياً عن المستوى الأكثر توافقاً وتكيفاً من أبناء غير المشتغلات أو أبناء المشتغلات ممن تغيب عنهم أمهاتهم خمس ساعات في اليوم (29)

أي أن طول الفترة التي تقضيها الأم خارجاً تؤثر في مستوى تكيف التلميذ الشخصي ، والاجتماعي ، والعام . ويمكن أن نلمس الخلل في عملية التفاعل الاجتماعي بأشكاله المختلفة كأحد مظاهر التنشئة الاجتماعية في اضطراب عملية التفاعل اللمسي المتمثلة في الرضاعة الطبيعية ، حيث تعتمد كثير من النساء الموظفات ، أو العاملات خارج المنزل على الرضاعة الصناعية للأطفال نتيجة لظروف العمل ، و هذا ما يؤكده " علي الحوات" في دراسته الموسومة : الأسرة و عمل المرأة دراسة في المجتمع الليبي حيث يشير إلى أن دور المرأة في القوى العاملة كان عاملاً مهماً يلعب دوراً في ترك الأم الرضاعة الطبيعية و اتباع الرضاعة الصناعية (30)

فالرضاعة الطبيعية وظيفة أساسية و مهمة تؤديها الأم لوليدها ليكون أكثر التصاقاً بها ، و يستمد منها الغذاء المتكامل و المحصن الواقي للعديد من الأمراض ، ولتبادله العاطفة والمحبة ، ويحدث بينهما نوعٌ من التفاعل اللمسي المتبادل من خلال تلقفه لثديها وممارسة عملية الرضاعة ، ولتضمه إلى صدرها حتى تشعر بأنه قد أخذ كفايته من الغذاء ، و لأهمية الرضاعة الطبيعية فقد أكّدها الله سبحانه و تعالى في القران الكريم

قال تعالى (**والوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أوْلادهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) البقرة . أيه 233** (31). كما أكّدها العديد من الفقهاء و اعتبروها واجباً ملزماً للأم حتى في أحلك الظروف، بغض النظر عن بقائها في بيت الزوجية أو ابتعادها عنه (32)

وقد أجمع العديد من علماء النفس أن تعجل الأم في فطام طفلها يترتب عليه العديد من الاضطرابات و المشاكل النفسية التي تنعكس آثارها مستقبلاً وتظهر في صورة مشكلات متعددة في الكبر،فحاجة الطفل لا تقتصر على مجرد إشباع الحاجات الفيزيولوجية أو العضوية فقط ؛ بل يتعدى ذلك إلى إشباع الحاجة التي يستمد منها ذاته وشخصيته و حاجته إلى الحب و الحنان،و الأمن ،والطمأنينة التي تنبعث من صدر أمه إليه عن طريق الملامسة الجسدية فالطفل بحاجة إلى الرعاية الدافئة،وحضانة أمه التي تستنفد أعمالها خارجاً معظم وقتها (33)

ومن نافلة القول أيضاً أنّ هناك من يرى أنّ شدة التصاق الطفل بوالدته دون انقطاع يودي إلى نتائج عكسية في كثير من مظاهر نموه و تكوين شخصيته واعتماده على نفسه ما يحرمه فرص ، النمو، و الاكتشاف ، و تنمية المهارات ....إلخ لذلك ينصح بابتعاد الأم عن طفلها بضع ساعات في اليوم ، و بشكل منتظم و بخاصةٍ في أول سنتين من عمره على أن يقوم برعايته شخص لديه حد أدنى من الرعاية التي كانت تقدمها له والدته (34)

ويزيد الأمر تفاؤلاً أن هناك مَنْ يعتقد أن لأدوار المرأة خارج المنزل تأثيراً إيجابياً و ليس سلبياً على الطفل و طريقة تربيته ، فعودة الأم من خارج المنزل بعد ساعات طويلة بعيدة عن طفلها وقلبها يتمزق عليه قلقاً يجعلها تقبل عليه بشوق ولهفة فتعوضه عن الوقت الذي قضته خارجاً بحنانها و قوة تأثيرها و تمنحه الفرصة للتعبير عن نفسه بحرية و استقلالية ، كما أنها تعكس إحساسها بذاتها ونضجها وخبرتها العلمية باتصالها بالعالم الخارجي على طفلها (35)

النتائـــج :

من خلال ما سبق يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

1- دور الأســـرة العربية في عملية التنشئة الاجتماعية في ظل الأسرة الممتدة هو أكثر فاعلية خاصة وأن المرأة في ظل هذه الأسرة لم تحصل على المكانة التي تتيح لها العمل خارج المنزل ، فأدوارها محدودة زوجاً وأماً وربة بيت فقط ، ومن تم تمثل الدور الأوسع و الأشمل ، وذلك لتفرغها لرعاية الأبناء بشكل شبه كامل .

2- تضارب أدوار المرأة العاملة في مجالات الحياة المختلفة بالإضافة إلى أدوارها التقليدية ، جعلها تعيش في حالة صراع مع أدوارها محاولةً التوفيق بين كلا الدورين ، فهي تريد أن تكون أماً وزوجه مثالية ، وتريد أن تكون ذات مكانه مرموقة اجتماعياً، و تعليمياً في المجتمع ، ما ينتج عنه تأثر كلا الجانبين في حالة الإخفاق في وظائف أحدهما سواء كان ذلك في وظيفتها في عملها داخل المجتمع ، أم الإخفاق في وظائفها الأسرية باعتبارها أحد أهم الدعائم الأساسية في الأسرة .

3- ترك الطفل فترة محدودة كل يوم وفي وقت منتظم و طويل مع الجيران تارةً و مع الأقارب تارةً أخرى ، أو في بعض المراكز المتخصصة لرعاية الأطفال تارة ثالثة لا يضمن تلقي الطفل العناية الكافية و المشبعة لجميع رغباته الجسمية، والعاطفية التي كان من الممكن أن يتلقاها فيما لو تفرغت له والدته

4- الدور الفاعل الذي يلعبه الأهل ، كدور والدة الزوج (الحماة) أو دور والدة المرأة العاملة في الاهتمام ، والعناية بتنشئة الأبناء أثناء فترة غياب الأم العاملة عن المنزل، و ترك أبنائها لديهم .

5- تضارب أدوار المرأة العاملة يؤثر على أداء دورها في عملية التنشئة الاجتماعية من حيث الرعاية ، و المتابعة ، و التربية .

6- تضارب أدوار المرأة العاملة يؤثر على الرضاعة الطبيعية للطفل ، وإتباع الرضاعة الصناعية أو البديلة الأمر الذي يشعرهن بالقلق ، وعدم الراحة حيال ذلك.

التوصيات :

1- العمل على تفعيل بعض اللوائح القانونية المتعلقة بمنح بعض المزايا للمرأة العاملة، وخصوصاً تلك المتعلقة بتوفير دار حضانة للأطفال للجهات التي تستخدم خمسين عاملة فما فوق ، ما يسهل على الأم العاملة الإشراف على طفلها بين الفترة ، والأخرى ، و إرضاعه الرضاعة الطبيعية المغذية ، والمحصنة ، والواقية للعديد من الأمـــراض .

2- العمل على إقامة العديد من الدورات التدريبية للموظفات،والأخصائيات والمربيات اللائي يشتغلن في دور الحضانة،أوفي رياض الأطفال،حتى يرتقوا بمستوى خدمات هذه المؤسسات إلى ما تقدمه الأسرة من خدمات لأطفالها .

3- العمل على إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التي تخص الأدوار الحديثة للمرأة في المجتمع إضافة إلى أدوارها التقليدية التي مازالت تمارسها ، و المشاكل التي قد تترتب عن تعدد أو تضارب أدوار المرأة ، والعمل على تمويل هذه البحوث والاستفادة من نتائجها جوهرياً ، وواقعياً ، وتنفيذ توصياتها ، و معالجاتها .

4- ضرورة أن تنهض كلّ وسائل الأعلام و أن تكثف جهودها الإعلامية ذات العلاقة بوضع المرأة في المجتمع ،و تعمل على إبراز أدوارها بالشكل الذي يتناسب مع طموحاتها باعتبارها تمثل نصف المجتمع ، و مربية للأجيال .

الهوامـــش :

1. حسن.علي حسن(1991م)، المجتمع الريفي والحضري، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 233.
2. الوحيشي، أحمد بيرى (1998) ، الأسرة والزواج، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ص 69.
3. قاريت. وليام (1992م)، فصول للزواج والأسرة، د.ط، نيويورك، ص 9.
4. رشدان . عبد الله(2004م) ، علم اجتماع التربية، الشروق، عمان، ص 116.
5. أبو جادو .صالح محمد علي(1998م) ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان، ص 246.
6. حسن. محمود (1981م)، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ص 2.
7. سلوم .توفيق(1992م). معجم العلوم الاجتماعية ، ، دار التقدم ، موسكو ،ص395 .
8. معن .خليل العمر (2000م)معجم علم الاجتماع المعاصر ، ، دار الشرق ، ص259 .
9. غيث .محمد عاطف(1995م). قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص450.
10. العاني وآخرون .عبد اللطيف عبد الحميد(د.ت) ، المدخل إلى علم الاجتماع، مديرية دار الكتب للطباعة ، بغداد، ص210.
11. غيث .محمد عاطف(د.ت) ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، د. ط، الإسكندرية، ص 147.
12. الخشاب .مصطفى ، دراسات في علم الاجتماع العائلي ،مرجع سابق ، ص127 .
13. القران الكريم. الروم. أية 21.
14. عاشور .سعيد(1994م) ، سعيد عاشور ،المرأة و المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة ، ص21 .
15. إسماعيل .أحمد السيد محمد(1975م) ، مشكلات الطفل السلوكية و أساليب معاملة الوالدين، دار الفكر الجامعي ،الإسكندرية، ص 30 .
16. القران الكريم.الإسراء . أيه 23.
17. القران الكريم.لقمان أيه14.
18. الخشاب .مصطفى ، دراسات في علم الاجتماع العائلي ،مرجع سابق ، ص127 .
19. أحمد السيد محمد إسماعيل ، مشكلات الطفل السلوكية و أساليب معاملة الوالدين، دار الفكر الجامعي ،الإسكندرية،1975م .
20. عصام نور ، دور المرأة في تنمية المجتمع ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2006 م ،ص41.
21. شبالة .حسن بن محمد علي (15- 9- 1431) ، الجندر مفهومه وأهدافه وموقف الإسلام منه، بحث منشور بتأريخ على شبكة الإنترنت:

22. www.bahethat.com/main/articles.aspx?article _no=374
23. أحمد .محمد مصطفى(1995م) ، الخدمة الاجتماعية في مجال السكان و الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية . ص222. . 223 .
24. الشخص .عبد العزيز السيد(2001م) ،علم النفس الاجتماعي، الناشر دار القاهرة للكتاب، القاهرة ، ص 68 .69 .
25. الطنوبي . محمد عامر(2001م) ، المرأة الريفية العربية، مطبعة الاشاع الفنية ، الإسكندرية ، ص127
26. القصير .عبد القادر(1999م) ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص53 .54 .
27. الفقي .محمد كامل(1985م) ، لا تظلموا المرأة ، دار التضامن للطباعة الناشر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص162.
28. دياب .فوزية(1980م) ، نمو الطفل و تنشئته بين الأسرة و دور الحضانة، ملتزمة النشر مكتبة النهضة العربية،القاهرة ،ص128.
29. ربيع .مبارك(1984م) ، عواطف الطفل، المطبعة العربية، تونس ، ص34 .35 .
30. أدم .محمد سلامه(1983م) ، المرأة بين البيت و العمل ، دار المعارف ،القاهرة،ص52.
31. الحوات .على (1996م) الأسرة و عمل المرأة ، مجلة الإنماء العربي العدد الرابع و الثمانون ،السنة السابعة عشر،الربيع ، ص206 .
32. القران الكريم. البقرة . أيه 233
33. الدويبي . عبد السلام(1992م) ، حقوق الطفل و رعايته ، دار الجماهيرية للنشر، مصراته ، ص60. 61 .
34. متولي .فؤاد بسيوني(1990م) التربية و مشكلات الأمومة و الطفولة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ، ص12.
35. عدس .محمد عبد الرحمان(1997م) ، مع الأطفال في طفولتهم ، دار الفكر للطباعة و النشر، عمان ، ص277 .
36. أدم .محمد سلامه(1983م) ، مرجع سابق ، ص 51